

دراسات في العقيدة

البرهان والاعتقاد

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الإمام شيخ الإسلام
الحافظ ابن حجر العسقلاني

مكتبة التراث الإسلامي

١٤ شارع صفية زغلول - قصر العيني القاهرة

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بكه فهمي

الاسكندرية

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للمنشر

مَكْتَبَةُ التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ

لمصاحبيها

عبد الرحيم حاج

القاهرة

١٤ شارع مصرية زغادك - قصر العيني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الامام شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني
في فتح الباري شرح صحيح البخاري :

الرؤيا : هي ما يراه الشخص في منامه ، وهي بوزن
فُعْلَى ، وقد تسهل الهمزة .

وقال الونحدى :

هي فى الأصل مصدر كاليسرى ، فلما جعلت إسماء
لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء .

قال الراغب :

والرؤية بالهاء : إدراك المرء بحاسة البصر ، وتطلق
على ما يدرك بالتخيل نحو : أرى أن زيدا مسافر ،
وعلى التفكير النظرى نحو : (إني أرى ما لا ترون) (١) ،
وعلى الرأى : وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة
الظن . انتهى .

وقال القرطبي في « المفهم » :

قال بعض العلماء : قد تجيء الرؤية بمعنى الرؤيا كقوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) (١) ، فزعم أن المراد بها : ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من العجائب . وكان الإسراء جميعه في اليقظة .

قلت : وعكسه بعضهم ، فزعم أنه حجة لمن قال : إنَّ الإسراء كان مناماً ، والأول المعتمد [كما سيأتى] في تفسير سورة الإسراء وقول ابن عباس : إنها رؤيا عين ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا ، لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة ، فأشبهت ما في المنام (٢).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي :

الرؤيا : إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدى ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أى حقيقتها ،

(١) الإسراء : ٦٠ .

(٢) راجع كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلاني وكتاب الإسراء والمعراج لابن كثير من منشورات مكتبة التراث الإسلامى .

ولما بكتناها أى بعبارتها ، ولما تخليط . ونظيرها في
اليقظة الخواطر . فإنها قد تأتي على نسق في قصة ،
وقد تأتي مسترسلة غير محصلة . هذا حاصل قول
الأستاذ أبي إسحاق .

قال : وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أنها :
اعتقادات ، واحتج بأن الرائي قد يرى نفسه بهيمة
أو طائراً مثلاً ، وليس هذا إدراكاً ، فوجب أن يكون
اعتقاداً ، لأن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد .

قال ابن العربي :

والأول أولى ، والذي يكون من قبيل ما ذكره
ابن الطيب من قبيل المثل ، فالإدراك إنما يتعلق به
لا بأصل الذات . انتهى ملخصاً .

وقال المازرى :

كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا ، وقال فيها غير
الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة ، لأنهم حاولوا الوقوف
على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان ،

وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أقوالهم . فمن ينتمى إلى الطب ينسب جميع الرؤيا إلى الاخلاط فيقول : من غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح في الماء ، ونحو ذلك ، لمناسبة الماء طبيعة البلغم . ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو . . وهكذا إلى آخره .

وهذا وإن جوزة العقل ، وجاز أن يجرى الله العادة به ، لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة ، والقطع في موضع التجويز غلط .

ومن ينتمى إلى الفلسفة يقول : إن صور ما يجرى في الأرض ، هي في العالم العلوى كالنقوش ، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها .

وقال : وهذا أشد فساداً من الأول ، لكونه تحكماً لا برهان عليه ، والانتقاش من صفات الأجسام ، وأكثر ما يجرى في العالم العلوى الأعراض ، والأعراض لا ينتقش فيها .

قال : والصحيح ما عليه أهل السنة : أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان ، فإذا خلقها ، فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى يخلقها في ثانی الحال . ومهما وقع منها على خلاف المعتقد ، فهو يقع لليقظان . ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر ، وقد يتخلف . وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يَسُرُ ، أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يَضُرُ ، والعلم عند الله تعالى .

وقال القرطبي :

سبب تخليط غير الشرعيين لإعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم . وبيان ذلك أن الرؤيا إنما هي إدراكات النفس ، وقد غُيِّبَ عنا علم حقيقتها - أي النفس - ، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكاتها ، بل كثير مما انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أمور جميلة لا تفصيله .

ونقل القرطبي في « المفهم » عن بعض أهل العلم :
إن لله ملكاً يعرض المرثيات على المحل المدرك من
النائم ، فيمثل له صورة محسوسة ، فتارة تكون أمثلة
موافقة لما يقع في الوجود ، وتارة تكون أمثلة لمعادن
معقولة ، وتكون في الحالين مبشرة ومنذرة .

قال : ويحتاج فيما نقله عن الملك إلى توقيف من
الشرع ، وإلا فجائز أن يخلق الله تلك المثالات من
غير ملك .

قال : وقيل : إن الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة في
التخيل جعلها الله أعلاماً على ما كان أو ما يكون .

وقال القاضي عياض :

اختلف في النائم المستغرق ، ف قيل : لا تصح
رؤياه ولا ضرب المثل له ، لأن هذا لا يدرك شيئاً مع
استغراق أجزاء قلبه ، لأن النوم يُخرج الحي عن
صفات التمييز والظن والتخيل ، كما يخرج عن
صفة العلم . وقال آخرون : بل يصح للنائم مع استغراق

أجزاء قلبه بالنوم أن يكون ظاناً ومتخيلاً ، وأما العلم فلا ، لأن النوم آفة تمنع حصول الاعتقادات الصحيحة . نعم ، إن كان بعض أجزاء قلبه لم يخل فيه النوم فيصح ، وبه يضرب المثل ، وبه يرى ما يتخيله ، ولا تكليف عليه حينئذ ، لأن رؤياه ليست على حقيقة وجود العلم ولا صحة التمييز . وإنما بقيت فيه بقية يدرك بها ضرب المثل .

وأيده القرطبي بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام عينه ولا ينام قلبه . ومن ثم احترز القائل بقوله : « المدرك » من النائم ، ولذا قال : « منضبطة في التخيل » ، لأن الرائي لا يرى في منامه إلا من نوع ما يدركه في اليقظة بحسه ، إلا أن التخيلات قد تتركب في النوم تركيباً يحمل به صورة لا عهد له بها ، يكون علماً على أمر نادر ، كمن رأى رأس إنسان على جسد فرس له جناحان مثلاً . وأشار بقوله : « أعلاماً » ، إلى الرؤيا الصحيحة المنتظمة الواقعة على شروطها .

وأما الحديث الذى أخرجه الحاكم والعقيلي من
رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر
عن أبيه قال :

لقي عمر علياً فقال : يا أبا الحسن ، الرجل يرى
الرؤيا ، فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ؟ قال : نعم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من عبد ولا أمة ينام فيمتملىء نوماً إلا تخرج
روحه إلى العرش ، فالذى لا يستيقظ دون العرش ،
فتلك الرؤيا التي تصدق ، والذى يستيقظ دون العرش ،
فتلك الرؤيا التي تكذب » .

قال الذهبي في « تلخيصه » :

هذا حديث منكر لم يصححه المؤلف . ولعل الآفة
من الراوى عن ابن عجلان . قلت : هو « أزهر بن
عبد الله الأزدي الخراساني » ، ذكره العقيلي في « ترجمته »
وقال : إنه غير محفوظ .

ثم ذكره من طريق أخرى عن إسرائيل عن أبي

إسحاق عن الحارث عن علي ببعضه . وذكر فيه اختلافاً
في وقفه ورفع .

وذكر ابن القيم حديثاً مرفوعاً غير معزو : « إن
رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام » . ووجد
الحديث المذكور في « نواذر الأصول » للترمذى ، من
حديث عبادة بن الصامت ، أخرجه في الأصل الثامن
والسبعين ، وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر ،
وهو واه وفي سنده جنيد .

قال ابن ميمون :

عن حمزة بن الزبير عن عبادة ، قال الحكيم :
قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى :
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) (١) :

أى في المنام ، ورؤيا الأنبياء وحى بخلاف غيرهم .
فالوحى لا يدخله خلل لأنه محروس ، بخلاف رؤيا
غير الأنبياء ، فإنها قد يحضرها الشيطان .

(١) الشورى : ٥١ .

وقال الحكيم أيضاً :

وَكُلَّ اللهُ بِالرُّؤْيَا مُلْكًا اَطْلَعَ عَلَى أَحْوَالِ بَنِي آدَمَ مِنْ
الْلُّوحِ الْمَحْفُوظِ ، فَيَنْسَخُ مِنْهَا وَيَضْرِبُ لِكُلِّ عَلَى قِصَّتِهِ
مَثَلًا ، فَإِذَا نَامَ مِثْلُ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْحِكْمَةِ ،
لِتَكُونَ لَهُ بَشْرَى أَوْ نَذَارَةٌ أَوْ مَعَاتِبَةٌ . وَالْآدَمَى قَدْ تَسَلَّطَ
عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ لَشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا ، فَهُوَ يَكِيدُهُ بِكُلِّ
وَجْهِ ، وَيُرِيدُ إِفْسَادَ أُمُورِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، فَيَلْبِسُ عَلَيْهِ
رُؤْيَاهُ ، إِمَّا بِتَغْلِيظِهِ فِيهَا ، وَإِمَّا بِغَفْلَتِهِ عَنْهَا . ثُمَّ جَمِيعُ
الرَّائِي تَنْحَصِرُ عَلَى قَسَمَيْنِ :

١ - الصَّادِقَةُ :

وَهِيَ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ،
وَقَدْ تَقَعُ لغيرهم بِنْدُورٌ ، وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْيَقَظَةِ عَلَى
وَفْقِ مَا وَقَعَتْ فِي النَّوْمِ .

٢ - الْأَضْغَاثُ :

وَهِيَ لَا تَنْلِزُ بِشَيْءٍ وَهِيَ أَنْوَاعٌ :

الْأَوَّلُ : تَلَاْعِبُ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الرَّائِي ، كَأَنَّ

يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه ، أو رأى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك .

الثاني : أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً ونحوه من المحال عقلاً .

الثالث : أن يرى ما تحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام ، وكذا رؤية ما جرت به عاداته في اليقظة ، أو ما يغلب على مزاجه ، ويقع عن المستقبل غالباً وعن الحال كثيراً ، وعن الماضي قليلاً .

* * *

الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة

ترجم البخارى رحمه الله لذلك بباب رؤيا الصالحين
وقوله تعالى :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن
المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من
دون ذلك فتحاً قريباً » (١) .

وأخرج عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الحسنة من الرجل
الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

وأخرجه عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رؤيا المؤمن جزء من
ستة وأربعين جزءاً من النبوة »

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » يقيد ما أطلق في غير هذه الرواية ، كقوله : « رؤيا المؤمن جزء . . . » ولم يقيدها بكونها حسنة ولا بأن رائيها صالح . ووقع في حديث أبي سعيد : « الرؤيا الصالحة » وهو تفسير المراد بالحسنة هنا .

قال المهلب :

المراد غالب رؤيا الصالحين ، وإلا فالصالح قد يرى الأضغاث ، ولكنه نادر ، لقلة تمكن الشيطان منهم ، بخلاف عكسهم ، فإن البصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم . قال : فالناس على هذا ثلاث درجات :

١ - الأنبياء :

ورؤياهم كلها صدق ، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير .

٢ - والصالحون :

والأغلب على رؤياهم الصدق ، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير .

٣ - ومن عداهم :

يقع في رؤياهم الصدق والأضغاث ، وهى على ثلاثة أقسام :

(الأول) مستورون :

فالغالب استواء الحال في حقهم .

(الثاني) فسقة :

والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق .

(الثالث) كفار :

ويندر في رؤياهم الصدق جداً . ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً » . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة .

وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار ،
كما في رؤيا صاحبَيْ السجن مع يوسف عليه السلام ،
ورؤيا ملكهما وغير ذلك .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي :

رؤيا المؤمن الصالح هي التي تنسب إلى أجزاء النبوة ،
ومعنى صلاحها : استقامتها وانتظامها . قال : وعندى
أن رؤيا الفاسق لا تعد في أجزاء النبوة ، وقيل : تُعد
من أقصى الأجزاء . وأما رؤيا الكافر فلا تُعد أصلاً .

وقال القرطبي :

المسلم الصادق الصالح هو الذي يناسب حاله حال
الأنبياء ، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء ، وهو
الاطلاع على الغيب . وأما الكافر والفاسق والمخلط فلا ،
ولو صدقت رؤياهم أحياناً فذاك كما قد يصدق الكذوب
وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أجزاء
النبوة ، كالكاهن والمنجم .

ولمسلم من حديث أبي هريرة : « جزء من خمسة
وأربعين » أخرجه من طريق أيوب عن محمد بن

سيرين عنه . ووقع عند مسلم أيضاً من حديث ابن عمر :
« جزء من سبعين جزءاً » . وكذا أخرجه ابن أبي شيبة
عن ابن مسعود موقوفاً . وأخرجه الطبراني من وجه آخر
عنه مرفوعاً .

وله من وجه آخر عنه : « جزء من ستة وسبعين »
وسندها ضعيف . وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً من رواية
حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً كذلك .
وأخرجه أحمد مرفوعاً . لكن أخرجه مسلم من رواية
الأعمش عن أبي صالح كالجادة . ولابن ماجه مثل حديث
ابن عمر مرفوعاً وسنده لين . وعند أحمد والبخاري
عن ابن عباس بمثله وسنده جيد .

وأخرج ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن
المختار ، عن ثابت عن أنس مرفوعاً : « جزء من ستة
وعشرين » والمحفوظ من هذا الوجه كالجادة . . وأخرج
أحمد وأبو يعلى والطبري في « تهذيب الآثار » من
طريق الأعرج عن سليمان بن غريب - بمهمله وزن عظيم -

عن أبي هريرة : كالجادة . قال سليمان : فذكرته^١
لابن عباس فقال : « جزء من خمسين » فقلت سمعت
أبا هريرة . فقال ابن عباس : فإني سمعت العباس
ابن عبد المطلب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة من المؤمن جزء من
خمسين جزءاً من النبوة » .

وللترمذى والطبرى من حديث أبي رزين والعقيلي :
« جزء من أربعين » . وأخرجه الترمذى من وجه آخر
كالجادة . وأخرجه الطبرى من وجه آخر عن ابن عباس :
« أربعين » . وللطبرى من حديث عبادة : « جزء من
أربعة وأربعين » ، والمحفوظ عن عبادة كالجادة كما
(تقدم) .

وأخرج الطبرى وأحمد من حديث عبد الله بن
عمرو بن العاص : « جزء من تسعة وأربعين » . وذكره
القرطبي في « المفهم » بلفظ « سبعة » بتقديم السين .
فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه أقلها :

« جزء من ستة وعشرين » وأكثرها « من ستة وسبعين
وبين ذلك : « أربعين » و « أربعة وأربعين » و « خمسة
وأربعين » و « سبعة وأربعين » و « تسعة وأربعين »
و « خمسين » و « سبعين » . أصحها مطلقاً الأول ويليه
« السبعين » .

وقد استشكل كون الرؤيا جزءاً من النبوة مع أن
النبوة انقطعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، ف قيل
في الجواب : إن وقعت الرؤيا من النبي صلى الله عليه وسلم
فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة ، وإن وقعت من غير
النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز .
وقال الخطابي :

معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها
جزء باق من النبوة .

وقيل : المعنى أنها جزء من علم النبوة لأن النبوة
وإن انقطعت فعلمها باق .

وتعقب بقول مالك فيما حكاه ابن عبد البر : أنه

سئل : أيعبر الرويا كل أحد ؟ فقال : أبالنبوة يلعب ١٩
ثم قال : الرويا جزء من النبوة ، فلا يلعب بالنبوة .
والجواب : أنه لم يرد أنها نبوة باقية ، وإنما أراد أنها
لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب
لا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم .

قال ابن بطال :

كون الرويا جزءاً من أجزاء النبوة مما يستعظم ،
ولو كانت جزءاً من ألف جزء . فيمكن أن يقال :
إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء : وهو الإعلام لغة ،
فعلى هذا ، فالمعنى أن الرويا خبر صادق من الله لا كذب
فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز
عليه الكذب ، فشابهت الرويا النبوة في صدق الخبر .

وقال المازرى :

يحتمل أن يراد بالنبوة في هذا الحديث الخبر
بالغيب لا غير ، وإن كان يتبع ذلك إنذار أو تبشير ،
فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة ، وهو غير مقصود
لذاته لأنه يصح أن يبعث نبي يقرر الشرع ويبين

الأحكام وإن لم يخبر في طول عمره بغيب ولا يكون ذلك قادحاً في نبوته ولا مبطلاً للمقصود منها . والخبر بالغيب من النبي لا يكون إلا صدقاً ولا يقع إلا حقاً . وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه ، لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمه غيره . قال : وقد سبق بهذا الجواب جماعة لكنهم لم يكشفوه ولم يحققوه . وقال القاضي أبو بكر بن العربي :

أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبي ، وإنما القدر الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن الرويا جزء من أجزاء النبوة في الجملة ، لأن فيها اطلاعاً على الغيب من وجه ما ، وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفة درجة النبوة . . وقال المازري : لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلاً ، وهذا من هذا القبيل .

وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وأبدى لها مناسبة ، فنقل ابن بطال عن أبي سعيد السفاقي :

أن بعض أهل العلم ذكر أن الله أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر ، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ، ونسبتها من الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً ، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح .

وقال ابن بطال :

هذا التأويل يفسد من وجهين :

أحدهما : أنه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى موته .

والثاني : أنه يبق حديث السبعين جزءاً بغير معنى . قلت : ويضاف إليه بقية الأعداد الواقعة .

وقد سبقه الخطابي إلى إنكار هذه المناسبة فقال : كان بعض أهل العلم يقول في تأويل العدد قولاً لا يكاد يتحقق ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أقام بعد الوحي ثلاثاً وعشرين سنة ، وكان يوحى إليه في منامه ستة أشهر ، وهي نصف سنة ، فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

قال الخطابي :

وهذا وإن كان وجهاً تحتمله قسمة الحساب والعدد ،
فأول ما يجب على من قاله أن يثبت بما ادعاه خبراً ،
ولم يسمع فيه أثر ولا ذكر مدعيه في ذلك خبراً .
فكأنه قاله على سبيل الظن ، والظن لا يغني عن الحق
شيئاً ، ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة
على ما ذهب إليه ، فليحرق بها سائر الأوقات التي كان
يوحى إليه فيها في منامه في طول المدة ، كما ثبت ذلك
عنه في أحاديث كثيرة جليلة القدر ، والرويا في
أحد ، وفي دخول مكة ، فإنه يتلفق من ذلك مدة
أخرى وتزاد في الحساب فتبطل القسمة التي ذكرها .

قال : فدل ذلك على ضعف ما تأوله المذكور ،
وليس كل ما نفي علينا علمه لا يلزمنا حجته ، كأعداد
الركعات وأيام الصيام ورعى الجمار ، فإننا لا نصل
من علمها إلى أمر يوجب حصرها تحت أعدادها ،
ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها . وهو
كقوله في حديث آخر : « المَدْي الصالح والسمت

الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » ،
فإن تفصيل العدد وحصر النبوة متعذر ، وإنما فيه أن
هاتين الخصلتين من جملة هدى الأنبياء وسمتهم ،
فكذلك معنى حديث الباب المراد به تحقيق أمر الرويا
وأنها مما كان الأنبياء عليه ، وأنها جزء من أجزاء العلم
الذى كان يأتيهم ، والأنبياء التى كان ينزل بها الوحي
عليهم .

وقد قبل جماعة من الأئمة المناسبة المذكورة وأجابوا
عما أورده الخطابي . أما الدليل على كون الرويا كانت
سته أشهر ، فهو أن ابتداء الوحي كان على رأس
الأربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما جزم به ابن
إسحاق وغيره ، وذلك فى ربيع الأول ، ونزول إليه
وهو بغار حراء كان فى رمضان وبينهما ستة أشهر .

وفى هذا الجواب نظر ، لأنه على تقدير تسليمه ،
ليس فيه تصريح بالرويا . وقد قال النووى : لم
يثبت أن زمن الرويا للنبي صلى الله عليه وسلم كان

سنة أشهر ، وأما ما ألزمه به من تلفيق أوقات المرائي
وضمها إلى المدة ، فإن المراد وحى المنام المتتابع . وأما
ما وقع منه في غضون وحى اليقظة فهو يسير بالنسبة
إلى وحى اليقظة ، فهو مغمور في جانب وحى اليقظة ،
فلم يعتبر بمدته . وهو نظير ما اعتمدوه في نزول الوحي ،
وقد أطبقوا على تقسيم النزول إلى مكى ومدنى قطعاً .
فالملكى : ما نزل قبل الهجرة ولو وقع بغيرها مثلاً كالطائف
ونخلة ، والمدنى : ما نزل بعد الهجرة ولو وقع وهو
بغيرها كما في الغزوات وسفر الحج والعمرة حتى مكة .
قلت : وهو اعتذار مقبول . ويمكن الجواب عن
اختلاف الأعداد ، أنه وقع بحسب الوقت الذى حدث
فيه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، كأن يكون
لما أكمل ثلاث عشرة سنة بعد مجيء الوحي إليه حدث
بأن الرؤيا « جزء من ستة وعشرين » إن ثبت الخبر
بذلك ، وذلك وقت الهجرة ، ولما أكمل عشرين
حدث بـ « أربعين » ، ولما أكمل اثنين وعشرين حدث
بـ « أربعة وأربعين » ثم بعدها بـ « خمسة وأربعين » ثم

حدث بـ « ستة وأربعين » في آخر حياته . وأما ما عدا ذلك من الرويات بعد الأربعين فضعيف ، ورواية « الخمسين » يحتمل أن تكون لجبر الكسر ، ورواية السبعين للمبالغة ، وما عدا ذلك لم يثبت ، وهذه مناسبة لم أر من تعرض لها .

ووقع في بعض الشروح مناسبة للسبعين ظاهرة التكلف ، وهى أنه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذى أخرجه أحمد وغيره : « أنا بشارة عيسى ودعوة إبراهيم ورأت أمى نوراً » ، فهذه ثلاثة أشياء تضرب في مدة نبوته وهى ثلاثة وعشرون سنة تضاف إلى أصل الرويا فتبلغ سبعين .

قلت : ويبقى في أصل المناسبة إشكال آخر ، وهو أن المتبادر من الحديث إرادة تعظيم روى المؤمن الصالح ، والمناسبة المذكورة تقتضى قصر الخبر على صورة ما اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم ، كأنه قيل : كانت المدة التى أوحى الله إلى نبينا فيها فى المنام

جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من المدة التي أوحى الله إليها في اليقظة ، ولا يلزم من ذلك أن كل رؤيا لكل صالح تكون كذلك ، ويؤيد إرادة التعميم الذي ذكره الخطابي في الهدى والسنت ، فإنه ليس خاصاً بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أصلاً .

وقد أنكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة التأويل المذكور فقال : ليس فيه كبير فائدة ، ولا ينبغي أن يحمل كلام المؤيد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى ، ولعل قائله أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا نوع مناسبة فقط ، ويعكز عليه الاختلاف في عدد الأجزاء .

وقد أبدى غير الخطابي المناسبة باختلاف الروايات في العدد المذكور ، وقد جمع بينها جماعة أولهم الطبري فقال : رواية « السبعين » عامة في كل رؤيا صادقة من كل مسلم ، ورواية « الأربعين » خاصة بالمؤمن الصادق الصالح ، وأما ما بين ذلك فالبنسبة لأحوال المؤمنين .

وقال ابن بطال :

أما الاختلاف في العدد قلة وكثرة فأصح ما ورد فيها : « من ستة وأربعين » و « من سبعين » وما بين ذلك من أحاديث الشيوخ . وقد وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين :

١ - جليلة ظاهرة : كمن رأى في المنام أنه يعطى تمراً فأعطى تمراً مثله في اليقظة ، فهذا القسم لا إغراب في تأويلها ولا رمز في تفسيرها .

٢ - ومرموزة بعيدة المرام : فهذا القسم لا يقوم به حتى يعبره إلا حاذق ، لبعد ضرب المثل فيه . فيمكن أن هذا من السبعين والأول من الستة والأربعين .

لأنه إذا قلّت الأجزاء كانت الرؤيا أقرب إلى الصدق وأسلم من وقوع الغلط في تأويلها : بخلاف ما إذا كثرت . قال : وقد عرضت هذا الجواب على جماعة فحسنوه ، وزادني بعضهم فيه : أن النبوة على مثل هذين الوصفين تلقاها الشارع عن جبريل ، فقد أخبر أنه كان يأتيه الوحي مرة فيكلمه بكلام فيعيه

بغير كلفة . ومرة يلتقى إليه جملاً وجوامع يشتد عليه حملها حتى تأخذ الرُّحْضَاءُ وينحدر منه العرق ، ثم يطلعه الله على بيان ما ألقى عليه منها .

ولنخصه المازرى فقال :

قيل إن المنامات دلالات منها ما هو جلى ومنها ما هو خفى ، فالأقل فى العدد هو الجلى ، والأكثر فى العدد هو الخفى ، وما بين ذلك .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما حاصله :

أن النبوة جاءت بالأمور الواضحة ، وفى بعضها ما يكون فيه إجمال مع كونه مبيناً فى موضع آخر ، وكذلك المرائى ، منها ما هو صريح لا يحتاج إلى تأويل ومنها ما يحتاج . فالذى يفهمه العارف من الحق الذى يعرج عليه منها جزء من أجزاء النبوة ، وذلك الجزء يكثر مرة ويقل أخرى بحسب فهمه . فأعلامهم من يكون بينه وبين درجة النبوة أقل ما ورد من العدد ، وأدناهم الأكثر من العدد ، ومن عداهما ما بين ذلك .

وقال القاضي عياض :

ويحتمل أن تكون هذه التجزئة في طرق الوحي ،
إذ منه ما سمع من الله بلا واسطة ، ومنه ما جاء بواسطة
الملك ، ومنه ما ألقى في القلب من الإلهام ، ومنه ما جاء
به الملك وهو على صورته أو على صورة آدمي معروف
أو غير معروف ، ومنه ما أتاه به في النوم ، ومنه
ما أتاه به في صلصلة الجرس ، ومنه ما يلقيه روح
القدس في روعه ، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه ومما لم
نقف عليه ، فتكون تلك الحالات إذا عُدَّت انتهت
إلى العدد المذكور .

قال القرطبي في « المفهم » :

ولا يخفى ما فيه من التكلف والتساهل ، فإن تلك
الأعداد إنما هي أجزاء النبوة . وأكثر الذي ذكره
أحوال لغير النبوة ، لكونه يعرف الملك أو لا يعرفه ،
أو يأتيه على صورته أو على صورة آدمي . ثم مع هذا
التكلف لم يبلغ عدد ما ذكر عشرين ، فضلاً عن سبعين
قلت : والذي نحاه القاضي سبقه إليه الحلبي ،

فقرأت في « مختصر » للشيخ علاء الدين القونوي بخطه
ما نصه : ثم إن الأنبياء يختصون بآيات يؤيدون بها
عن ليس مثلهم ، كما تميزوا بالعلم الذي أوتوه .
فيكون لهم الخصوص من وجهين :

١ - فما هو في حيز التعليم هو النبوة .

٢ - وما هو في حيز التأيد هو حجة النبوة .

قال : وقد قصد الحليمي في هذا الموضع بيان كون
الرؤيا الصالحة « جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من
النبوة » فذكر وجوهاً من الخصائص العلمية للأنبياء
تكلف في بعضها حتى أنها إلى العدد المذكور ، فتكون
الرؤيا واحداً من تلك الوجوه :

فأعلاها : تكليم الله بغير واسطة .

ثانيها : الإلهام بلا كلام ، بل يجد علم شيء في
نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أو استدلال .

ثالثها : الوحي على لسان ملك يراه فيكلمه .

رابعها : نفث الملك في رَوْعِه ، وهو الوحي الذي يخص به القلب دون السمع . قال : وقد ينفث الملك في رَوْع بعض أهل الصلاح ، لكن بنحو : الاطماع في الظفر بالعدو ، والترغيب في الشيء والترهيب من الشيء ، فيزول عنه بذلك وسوسة الشيطان بحضور الملك ، لا بنحو نفي علم الأحكام والوعد والوعيد ، فإنه من خصائص النبوة .

خامسها : إكمال عقله ، فلا يعرض له فيه عارض أصلاً .

سادسها : قوة حفظه حتى يسمع السورة الطويلة فيحفظها من مرة ولا ينسى منها حرفاً .

سابعها : عصمته من الخطأ في اجتهاده .

ثامنها : ذكاء فهمه حتى يتسع لضروب من الاستنباط .

تاسعها : ذكاء بصره حتى يكاد يبصر الشيء من أقصى الأرض .

عاشرها : ذكاء سمعه حتى يسمع من أقصى الأرض ما لا يسمعه غيره .

حادى عشرها : ذكاء شمه ، كما وقع ليعقوب
فى قميص يوسف .

ثانى عشرها : تقوية جسده حتى سار فى ليلة مسرة
ثلاثين ليلة .

ثالث عشرها : عروجه إلى السماوات .

رابع عشرها : مجيء الوحي له فى مثل صلصلة
الجرس .

خامس عشرها : تكليم الشاة .

سادس عشرها : إنطاق النبات .

سابع عشرها : إنطاق الجذع .

ثامن عشرها : إنطاق الحجر .

تاسع عشرها : إفهامه عواء الذئب أن يفرض له
رزقاً .

العشرون : إفهامه رغاء البعير .

الحادية والعشرون : أن يسمع الصوت ولا يرى
المتكلم .

الثانية والعشرون : تمكينه من مشاهدة الجن .

الثالثة والعشرون : تمثيل الأشياء المغيبة له ، كما
مُثل له بيت المقدس صبيحة الإسراء .

الرابعة والعشرون : حدوث أمر يعلم به العاقبة ،
كما قال في الناقة لما بركت في الحديبية « حبسها حابس
الفيل » .

الخامسة والعشرون : استدلاله باسم علي أمر ، كما
قال لما جاءهم سهيل بن عمرو : « وقد سهل لكم الأمر » .
السادسة والعشرون : أن ينظر شيئاً علوياً فيستدل
به علي أمر يقع في الأرض ، كما قال : « إن هذه
السحابة لتستهل بنصر بني كعب » .

السابعة والعشرون : رؤيته من ورائه .

الثامنة والعشرون : اطلاعه على أمر وقع لمن مات
قبل أن يموت ، كما قال في حنظلة : « رأيت الملائكة
تغسله » وكان قتل وهو جنب .

التاسعة والعشرون : أن يظهر له ما يستدل به علي
فتوح مستقبل ، كما جاء ذلك يوم الخندق .

الثلاثون : اطلّعه على الجنة والنار في الدنيا .

الحادية والثلاثون : الفراسة .

الثانية والثلاثون : طواعية الشجرة حتى انتقلت بعروقها وخصونها من مكان إلى مكان ثم رجعت .

الثالثة والثلاثون : قصة الطيبة وشكواها له ضرورة خشفها الصغير .

الرابعة والثلاثون : تأويل الرؤيا بحيث لا تخطيء .

الخامسة والثلاثون : الحزر في الرطب وهو على النخل أنه يجيء كذا وكذا وسقاً من التمر ، فجاء كما قال .

السادسة والثلاثون : الهداية إلى الأحكام .

السابعة والثلاثون : الهداية إلى سياسة الدين والدنيا

الثامنة والثلاثون : الهداية إلى هيئة العالم وتركيبه .

التاسعة والثلاثون : الهداية إلى مصالح البدن بأنواع الطب .

الأربعون : الهداية إلى وجوه القربات .

الحادية والأربعون : الهداية إلى الصناعات النافعة .

الثانية والأربعون : الاطلاع على ما سيكون .

الثالثة والأربعون : الاطلاع على ما كان مما لم ينقله
أحد قبله .

الرابعة والأربعون : التوقيف على أسرار الناس
ومخباتهم .

الخامسة والأربعون : تعليم طرق الاستدلال .

السادسة والأربعون : الاطلاع على طريقة التلطف في
المعاشرة .

قال : فقد بلغت خصائص النبوة فيما مرجعه العلم
سته وأربعين وجهاً ، ليس منها وجه إلا وهو يصلح أن
يكون مقارباً للرؤيا الصالحة التي أخبر أنها « جزء من
سته وأربعين جزءاً من النبوة » ، والكثير منها إن كان
يقع لغير النبي ، لكنه للنبي لا يخطيء أصلاً ، ولغيره
قد يقع فيه الخطأ والله أعلم .

وقال الغزالي في كتاب الفقر والزهد من «الإحياء» لما ذكر حديث : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» وفي رواية : «بأربعين سنة» قال : وهذا يدل على تفاوت درجات الفقراء ، فكان الفقير الحريص على جزء من خمسة وعشرين جزءاً من الفقير الزاهد ، لأن هذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة ، ولا يظن أن تقدير النبي صلى الله عليه وسلم على لسانه كيفما اتفق ، بل لا ينطق إلا بحقيقة الحق . وهذا كقوله : «الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» ، فإنه تقدير تحقيق ، لكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين ، لأن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره ، وهو يختص بأنواع من الخواص ، منها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته وملأئكته والدار الآخرة ، لا كما يعلمه غيره ، بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق ما ليس عند غيره . وله صفة تتم له

بها الأفعال الخارقة للعادات التي يفارق بها الدكي البليد ،
فهذه صفات كمالات ثابتة للنبي ، يمكن انقسام كل
واحدة منها إلى أقسام ، بحيث يمكننا أن نقسمها إلى
أربعين وإلى خمسين وإلى أكثر ، وكذا يمكننا أن
نقسمها إلى ستة وأربعين جزءاً ، بحيث تقع الرؤيا
الصحيحة جزءاً من جملتها ، لكن لا يرجع إلا إلى ظن
وتخمين ، لا أنه أراد النبي صلى الله عليه وسلم
حقيقة . انتهى ملخصاً . وأظنه أشار إلى كلام الحليمي
فإنه مع تكلفه ليس على يقين أن الذي ذكره هو المراد ،
والله أعلم .

وقال ابن الجوزي : لما كانت النبوة تتضمن اطلاعاً على
تحقيقها فيما بعد ، وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها . وقيل :
إن جماعة من الأنبياء كانت نبوتهم وحيّاً في المنام
فقط ، وأكثرهم ابتدئ بالوحي في المنام ، ثم رقوا إلى الوحي
في اليقظة ، فهذا بيان مناسبة تشبيه المنام الصادق
بالنبوة . وأما خصوص العدد المذكور ، فتكلم فيه

جماعة . . فذكر المناسبة الأولى ، وهي أن مدة وحى المنام إلى نبينا كانت ستة أشهر وقد تقدم ما فيه ، ثم ذكر أن الأحاديث اختلفت في هذا العدد المذكور . قال : فعلى هذا تكون رؤيا المؤمن مختلفة : أعلاها « ستة وأربعون » وأدناها « سبعون » . . ثم ذكر المناسبة التي ذكرها الطبري .

وقال القرطبي في « المفهم » : يحتمل أن يكون المراد من هذا الحديث : أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة ، كما جاء في الحديث الآخر : « التؤدة والاقتصاد وحسن السمات جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة » ؛ أي النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ذلك ، وهذه الثلاثة جزء منها ، وعلى مقتضى ذلك ، يكون كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أشياء ، فإذا ضربنا ثلاثة في ستة وعشرين انتهت إلى ثمانية وسبعين ، فيصح لنا عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون . قال ويصح أن يسمى كل اثنين منها جزءاً ، فيكون العدد بهذا الاعتبار

تسعة وثلاثين ، ويصح أن يسمى كل أربعة منها جزءاً ، فتكون تسعة عشر جزءاً ونصف جزءاً . . فيكون اختلاف الروايات في العدد بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء ، ولا يلزم منه اضطراب .

قال : وهذا أشبه ما وقع لى في ذلك ، مع أنه لم ينشرح به الصدر ، ولا اطمأنت إليه النفس .

قلت : وتماه أن يقول في الثمانية والسبعين بالنسبة لرواية « السبعين » : ألغى فيها الكسر ، وفي التسعة والثلاثين بالنسبة لرواية « الأربعين » : جبر الكسر . ولا تحتاج إلى العدد الأخير لما فيه من ذكر النصف ، وما عدا ذلك من الأعداد ، قد أشار إلى أنه يعتبر بحسب ما يقدر من الخصال .

ثم قال : وقد ظهر لى وجه آخر ، وهو أن النبوة معناها أن الله يطلع من يشاء من خلقه على ما يشاء من أحكامه ووحيه ، إما بالمكاملة وإما بواسطة الملك وإما بإلقاء في القلب بغير واسطة . لكن هذا المعنى المسمى

بالنبوة لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال
نوعه من المعارف والعلوم والفضائل والأداب مع تنزهه
عن النقائص ، أطلق على تلك الخصال نبوة ، كما في
حديث : « التؤدة والاقتصاد . . » أى تلك الخصال
من خصال الأنبياء ، والأنبياء مع ذلك متفاضلون فيها ،
كما قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » (١)
ومع ذلك فالصدق أعظم أوصافهم يقظة ومناماً ، فمن
تأسى بهم فى الصدق حصل من رؤياه على الصدق .
ثم لما كانوا فى مقاماتهم متفاوتين كان أتباعهم من
الصالحين كذلك ، وكان أقل بخصال الأنبياء ما إذا
اعتبر كان ستة وعشرين جزءاً وأكثرها ما يبلغ سبعين ،
وبين العديدين مراتب مختلفة بحسب ما اختلفت
ألفاظ الروايات ، وعلى هذا فمن كان من غير الأنبياء
فى صلاحه وصدقه على رتبة تناسب حال نبي من الأنبياء ،
كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبي . ولما كانت

كمالهم متفاوتة ، كانت نسبة أجزاء منامات الصادقين متفاوتة على ما فصلناه . قال : وبهذا يندفع الاضطراب إن شاء الله .

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمهرة وجهاً آخر ملخصه : أن النبوة لها وجوه من الفوائد الدنيوية والأخروية : خصوصاً وعموماً ، منها ما يعلم ومنها ما لا يعلم ، وليس بين النبوة والرؤيا نسبة إلا في كونها حقاً ، فيكون مقام النبوة بالنسبة لمقام الرؤيا ، بحسب تلك الأعداد ، راجعة إلى درجات الأنبياء ، فنسبتها من أعلاهم وهو من ضم له إلى النبوة الرسالة أكثر ما ورد من العدد ، ونسبتها إلى الأنبياء غير المرسلين أقل ما ورد من العدد ، وما بين ذلك ، ومن ثم أطلق في الخبر النبوة ولم يقيد بها بنبوة نبي بعينه .

ورأيت في بعض الشروح أن معنى الحديث ، أن للمنام شبيهاً بما حصل للنبي وتميز به عن غيره بجزء من ستة وأربعين جزءاً .

فهذه عدة مناسبات لم أر من جمعها في موضع واحد ، فله الحمد على ما ألهم وعَلَّمَ . ولم أقف في شيء من الأخبار على كون الإلهام جزءاً من أجزاء النبوة ، مع أنه من أنواع الوحي ، إلا أن ابن أبي جمرة تعرض لشيء منه (كما سيأتي) إن شاء الله تعالى .

* * *

المبشرات

أخرج البخارى رحمه الله : عن أبي هريرة قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . قالوا :
وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة ،
قال الحافظ رحمه الله :

المُبَشِّرَات - بكسر الشين المعجمة - : جمع مُبَشِّرَةٌ :
وهى البشرى . وقد ورد فى قوله تعالى : « لهم البشرى فى
الحياة الدنيا » (١) : هى الرؤيا الصالحة . أخرجه
الترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم من رواية أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت ، ورواته
ثقات إلا أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة . وأخرجه
الترمذى أيضاً من وجه آخر عن أبي سلمة قال : نبئت
عن عبادة . وأخرجه أيضاً هو وأحمد وإسحاق وأبو يعلى

من طريق عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر عن عبادة . وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه : إن هذا الرجل ليس بمعروف . وأخرجه ابن مردويه من حديث ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فذكر مثله . وفي الباب عن جابر عند البزار وعن أبي هريرة عند الطبري وعن عبد الله بن عمرو عند أبي يعلى .

والمراد بقوله : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » : الاستقبال ، أى لا يبق . وقيل : هو على ظاهره ، لأنه قال ذلك في زمانه ، واللام في « النبوة » للعهد ، والمراد : نبوته ، والمعنى : لم يبق بعد النبوة المختصة بى إلا المبشرات . ثم فسرهما بالرؤيا ، وصرح به في حديث عائشة عند أحمد بلفظ : « لم يبق بعدى » .

وقد جاء في حديث ابن عباس : أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك في مرض موته . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق إبراهيم بن عبد الله بن معبد عن أبيه عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف

الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذى مات فيه ،
والناس صفوف خلف أبى بكر ، فقال : « يا أيها الناس ،
إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها
المسلم أو تُرى له . . » الحديث .

وللنسائي من رواية زفر بن صعصعة عن أبى هريرة
رفعه أنه : « ليس يبق بعدى من النبوة إلا الرؤيا
الصالحة » . وهذا يؤيد التأويل الأول . وظاهر الاستثناء
مع ما تقدم ، من أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة ،
أن الرؤيا نبوة ، وليس كذلك ، لما تقدم أن المراد
تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة ، أو لأن جزء الشيء لا يستلزم
ثبوت وصفه له ، كمن قال : أشهد أن لا إله إلا الله »
رافعاً صوته لا يسمى مؤذناً ، ولا يقال إنه أذن وإن
كانت جزءاً من الأذان . وكذا لو قرأ شيئاً من القرآن
وهو قائم لا يسمى مصلياً ، وإن كانت القراءة جزءاً من
الصلاة .

ويؤيده : حديث أم كُرُز - بضم الكاف وسكون

الراء بعدها زاي - الكعبية قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهب النبوة وبقيت المبشرات » . أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان . ولأحمد عن عائشة مرفوعاً : : لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا » . وله وللطبراني من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً : « ذهب النبوة وبقيت المبشرات » . ولأبي يعلى من حديث أنس رفعه : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا نبي ولا رسول بعدى ولكن بقية المبشرات » . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا المسلمين جزءاً من أجزاء النبوة » .

قال المهلب ما حاصله :

[التعبير] بـ « المبشرات » خرج للأغلب ، فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ، ليستعد لما يقع قبل وقوعه .

وقال ابن التين :

معنى الحديث أن الوحي ينقطع بموتى ولا يبقى ما

يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا ويرد عليه الإلهام فإن فيه إخباراً بما سيكون ، وهو للأنبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا ، ويقع لغير الأنبياء كما في الحديث « قد كان فيمن مضى من الأمم محدثون . . . » وفسر المحدث : بالملهم . وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة ، فكانت كما أخبروا . والجواب : أن الحصر في المنام لكونه يشمل آحاد المؤمنين ، بخلاف الإلهام ، فإنه مختص ببعض . ومع كونه مختصاً فإنه نادر ، فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة وقوعه ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « فإن يكن » ، وكان السر في ندور الإلهام في زمنه وكثرته من بعده ، غلبه الوحي إليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، وإرادة إظهار المعجزات منه ، فكان المناسب أن لا يقع لغيره منه في زمانه شيء انقطع بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به ، للأمن من اللبس في ذلك ، وفي إنكار وقوع ذلك مع كثرته واشتهاره مكابرة لمن أنكره .

الرؤيا من الله والحلم من الشيطان

(أخرج البخارى رحمه الله : عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان » .

وأخرج عن أبي سعيد الخدرى أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره »

وأخرج من طريق أخرى عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان . فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره » .

وأخرج من طريق أخرى عن أبي قتادة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا من الله والحلم

من الشيطان . فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره ، وإن الشيطان يتراعى بي .

وأخرج من طريق أخرى عن أبي سلمة قال : لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الحسنة من الله ، فإذا رأى أحداً ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، ولينفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لا تضره » .

قال المهلب : سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة وصادقة وأضافها إلى الله . وسمى الأضغاث حلماً وأضافها إلى الشيطان ، إذ كانت مخلوقة على شاكلته ، فألّم الناس بكيده وأرشدهم إلى دفعه ، لئلا يبلغوه أربه في تحزينهم والتهويل عليهم . وقال أبو عبد الملك :

أضيفت إلى الشيطان لكونها على هواه ومراده . وقال ابن الباقلاني : يخلق الله الرؤيا الصالحة بحضرة الملك . ويخلق الرؤيا التي تقابلها بحضرة الشيطان ، فمن ثم أضيفت إليه . وقيل : أضيفت إليه لأنه الذي يخيل بها ولا حقيقة لها في نفس الأمر .

فحاصل ما ذكره في أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء :

- * أن يحمد الله عليها .
 - * أن يستبشر بها .
 - * وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره .
- وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء :
- * أن يتعوذ بالله من شرها .
 - * ومن شر الشيطان .
 - * وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً .
 - * ولا يذكرها لأحد أصلاً .

ووقع عند المصنف (- يعنى البخارى -) عن أبى هريرة خامسة وهى « الصلاة » ولفظه : « فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل » . لكن لم يصرح البخارى بوصله وصرح به مسلم . وغفل القاضى أبو بكر بن العربى فقال : زاد الترمذى على الصحيحين بالأمر بالصلاة . انتهى .

وزاد مسلم سادسة وهى « التحول عن جنبه الذى كان عليه » فقال : حدثنا قتيبة : حدثنا ليث ، وحدثنا ابن رمح : أنبأنا الليث ، عن أبى الزبير عن جابر رفعه : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثاً ، وليستعد بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » . وقال قبل ذلك : حدثنا قتيبة ومحمد بن رمح عن الليث بن سعد ، وحدثنا محمد بن المثنى : حدثنا عبد الوهاب ، وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا عبد الله بن نمير : كلهم عن يحيى بن سعيد . وزاد ابن رمح فى هذا الحديث : « وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » . وذكر بعض

الحفاظ أن هذه الزيادة إنما هي في حديث الليث عن أبي الزبير ، كما اتفق عليه قتيبة وابن رُمح ، وأما طريق يحيى بن سعيد في حديث أبي قتادة فليست فيه ، ولم يذكرها قتيبة . وفي الجملة ، فتكمل الأداب ستة ، الأربعة الماضية والصلاة والتحول .

ورأيت في بعض الشروح ذكر سابعة ، وهي قراءة آية الكرسي ، ولم يذكر لذلك مستنداً ، فإن كان أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة : « ولا يقربنك شيطان . . » فينتجه ؛ وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة .

وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور :

فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح ، وهي مشروعة عند كل أمر يكره . وأما الاستعاذة من الشيطان ، فلما وقع في بعض طرق الحديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين آدمي والتهويل عليه كما تقدم .

أما النقل فقال عياض :

أمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة

تحقيقاً له واستقذاراً ، وخصت به اليسار لأنها محل
الأقذار ونحوها . قلت : والتثليث للتأكيد . وقال
القاضي أبو بكر بن العربي : فيه إشارة إلى أنه في مقام
الرقية ، ليستقر عند النفس دفعه عنها ، وعبر في بعض
الروايات بالبصاق إشارة إلى استقذاره . وقد ورد بثلاثة :
النفث والتفل والبصق .

قال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعاً لعباس :
اختلف في النفث والتفل ، فقليلهما بمعنى ، ولا
يكونان إلا بريق . وقال أبو عبيد : يشترط في التفل ريق
يسير ولا يكون في النفث ، وقيل عكسه . وسئلت
عائشة عن النفث في الرقية فقالت : كما ينفث آكل
الزبيب لا ريق معه . قال : ولا اعتبار بما يخرج معه
بلّة بغير قصد . قال : وقد جاء في حديث أبي سعيد في
الرقية بفاتحة الكتاب : « فجعل يجمع بزاقه » .
قال عباس : وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوب
والهواء ، والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن
كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء .

وقال النووى أيضاً :

. أكثر الروايات فى الرؤيا : « فلينفث » وهو نفخ لطيف بلا ريق ، فىكون التفل والبصق محمولين عليه مجازاً . قلت : لكن المطلوب فى الموضعين مختلف ، لأن المطلوب فى الرقية التبرك برطوبة الذكر . كما تقدم ، والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره ، كما نقله هو عن عياض كما تقدم . فالذى يجمع الثلاثة الحمل على التفل ، فإنه نفخ معه ريق لطيف . فبالنظر إلى النفخ قيل له : نفث ، وبالنظر إلى الريق قيل له : بصاق .

قال النووى :

وأما قوله : « فإنها لا تضره » فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا ، كما جعل الصدقة وقاية للمال . انتهى .

وأما الصلاة ، فلما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه ، ولأن فى التحرم بها عصمة من الأسواء ، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة ، لقرب المصلى من ربه عند سجوده

وأما التحول ، فملتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها .

قال النووي :

وينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته ، فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى ، كما صرحت به الأحاديث قلت : لم أر في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة . نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع شرها ، وكأنه أخذ من قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » (١) فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه ، ولا يكفي إمرار الاستعاذة باللسان .

وقال القرطبي في « المفهم » :

الصلاة تجمع ذلك كله ، لأنه إذا قام فصلي تحول

(١) النحل : ٩٨ : ٩٩ .

عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ
قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه ، فيكفيه
الله شرها بمنه وكرمه .

وورد في صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح أخرجه
سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق بإسناد
صحيح عن إبراهيم النخعي قال : إذا رأى أحدكم
في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ : أعوذ بما عادت به
ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني فيها
ما أكره في ديني ودنياي .

وورد في الاستعاذة من التهويل في المنام ما أخرجه مالك
قال : بلغني أن خالد بن الوليد قال : يا رسول الله ،
إني أروّع في المنام فقال : « قل أعوذ بكلمات الله التامات
من شر غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين
وأن يحضرون » . وأخرجه النسائي من رواية عمرو
ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان خالد بن
الوليد يفرع في منامه . . فذكر نحوه وزاد في أوله .

« إذا اضطجعت فقل باسم الله . . » فذكره . وأصله عند أبي داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه .
واستثنى الداودي من عموم قوله :

« إذا رأى ما يكره » ما يكون في الرؤيا الصادقة ،
لكونها قد تقع إنذاراً كما تقع تبشيراً ، وفي الإنذار
نوع ما يكرهه الرائي ، فلا يشرع إذا عرف أنها صادقة
ما ذكره من الاستعاذة ونحوها . واستند إلى ما ورد من
مراي النبي صلى الله عليه وسلم كالبقرة التي تنحر ونحو
ذلك .

ويمكن أن يقال : لا يلزم من ترك الاستعاذة في
الصادقة أن لا يتحول عن جنبه ، ولا أن لا يصلى ،
فقد يكون ذلك سبباً لدفع مكروه الإنذار مع حصول
مقصود الإنذار . وأيضاً فالمنذورة قد ترجع إلى معنى
المبشرة ، لأن من أُنذر بما سيقع له ، ولو كان لأيسره ،
أحسن حالاً ممن هجم عليه ذلك ، فإنه ينزعج ما لا
ينزعج من كان يعلم بوقوعه ، فيكون ذلك تخفيفاً عنه
ورفقاً به .

قال الحكيم الترمذى :

الرؤيا الصادقة أصلها حق ، تخبر عن الحق ، وهو بشرى وإنذار ومعاناة ، لتكون عوناً لما ندب إليه . قال : وقد كان غالب أمور الأولين الرؤيا ، إلا أنها قلت في هذه الأمة لعظم ما جاء به نبيها من الوحي ، ولكثرة من في أمته من الصديقين من المحدثين - بفتح الدال - وأهل اليقين ، فاكتفوا بكثرة الإلهام والمهمين عن كثرة الرؤيا التي كانت في المتقدمين .

وقال القاضي عياض :

يحتمل قوله : « الرؤيا الحسنة » و « الصالحة » أن يرجع إلى حسن ظاهرها أو صديقها ، كما أن قوله « الرؤيا المكروهة » أو « السوء » يحتمل سوء الظاهر أو سوء التأويل . وأما كتمها مع أنها قد تكون صادقة فخفيت حكمته ، ويحتمل أن يكون لمخافة تعجيل اشتغال سر الرائي بمكروه تفسيرها ، لأنها قد تبطل ، فإذا لم يخبر بها زال تعجيل روعها وتخويفها ، ويبقى إذا لم يعبرها له أحد بين الطمع في أن لها تفسيراً

حسناً ، أو الرجاء في أنها من الأضغاث ، فيكون ذلك
أسكن لنفسه .

واستدل بقوله : « ولا يذكرها » على أن الرؤيا
تقع على ما يعبر به . واستدل به على أن للوهم تأثيراً
في النفوس لأن التفل وما ذكر معه يدفع الوهم الذي
يقع في النفس من الرؤيا . فلو لم يكن للوهم تأثير
لما أرشد إلى ما يدفعه ، وكذا في النهي عن التحديث
بما يكره والأمر بالتحديث بما يحب لمن يحب .

[و] قوله في حديث أبي سعيد : « وإذا رأى غير
ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان » ، ظاهر الحصر
أن الرؤيا الصالحة لا تشتمل على شيء مما يكرهه الراى ،
ويؤيده مقابلة رؤيا البشرى بالحلم وإضافة الحلم إلى
الشيطان . وعلى هذا ففى قول أهل التعبير ومن تبعهم :
أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشرى وقد تكون إنذاراً
نظر ، لأن الإنذار غالباً يكون فيما يكره الراى . ويمكن
الجمع بأن الإنذار لا يستلزم وقوع المكروه كما تقدم

تقريره ، وبأن المراد بما يكره ما هو أعم من ظاهر الرؤيا ومما تعبر به .

وقال القرطبي في « المفهم » :

ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا - يعنى ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين - هو المأمور بالاستعاذة منه ، لأنه من تخیلات الشيطان ، فإذا استعاذ الرائي منه صادقاً في التجائه إلى الله وفعل ما أمر به ، من التفل والتحول والصلاة ، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك ولم يصبه منه شيء . وقيل : بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائي بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه ، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه ، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء ، والصدقة تدفع ميتة السوء ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، ولكن الأسباب عادات لا موجودات . وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائي ولكنه لا يجده في اليقظة ولا ما يدل عليه ، فإنه يدخل في قسم آخر ، وهو ما كان المخاطر به مشغولاً قبل النوم ، ثم يحصل النوم فيراه ، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع .

رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
[أخرج البخارى رحمه الله : عن أبي هريرة
قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من
رآنى في المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان
بى » . قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه
فى صورته .

وأخرج عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبي
صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فى المنام فقد رآنى ،
فإن الشيطان لا يتمثل بى . ورؤيا المؤمن جزء من ستة
وأربعين جزءاً من النبوة » .

وأخرج عن أبي قتادة قال : قال النبي صلى الله
عليه وسلم : « الرؤيا الصالحة من الله والحلم من
الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله
ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان ، فإنها لا تضره ، وإن
الشيطان لا يتراعى بى » .

وأخرج أيضاً عن أبي قتادة رضى الله عنه قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رآني فقد رأى الحق » .

وأخرج عن أبي سعيد الخدري : سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوني » .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه في صورته . . رويناه موصولاً من طريق إسماعيل ابن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب - وهو من شيوخ البخاري - عن حماد بن زيا عن أيوب قال : كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : صف لي الذي رأيته ؟ فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره . . وسنده صحيح .

ووجدت له ما يؤيده : فأخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب : حدثني أبي قال : قلت لابن عباس :

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال : صفه لي ؟
قال : ذكرت الحسن بن علي فشبهته به . قال : قد
رأيت . وسنده جيد . ويعارضه : ما أخرجه ابن أبي
عاصم من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من رآني في المنام فقد رآني ،
فإني أرى في كل صورة » . وفي سنده « صالح » مولى
التوأمة ، وهو ضعيف لاختلاطه ، وهو من رواية من
سمع منه بعد الاختلاط .

ويمكن الجمع بينهما بما قال القاضي أبو بكر
ابن العربي : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته
المعلومة ، إدراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته
إدراك للمثال . فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم
الأرض ، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة ، وإدراك
الصفات إدراك المثل . قال : وشذ بعض القدرية فقال :
الرويا لا حقيقة لها أصلاً ، وشذ بعض الصالحين فزعم
أنها تقع بعيني الرأس حقيقة . وقال بعض المتكلمين :
هي مدركة بعينين في القلب .

قال : وقوله : « فسيراني » معناه : فسيري تفسير ما رأى ، لأنه حق وغيبَ ألقى فيه . وقيل : معناه : فسيراني في القيامة ، ولا فائدة في هذا التخصيص . وأما قوله : « فكأنما رآني » فهو تشبيه ، ومعناه أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام ، فيكون الأول حقاً وحقيقة ، والثاني حقاً ومثالاً .

قال : وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة . فإن رآه على خلاف صفته ، فهي أمثال . فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائي وفيه ، وعلى العكس فالعكس .

وقال النووي .

قال عياض : يحتمل أن يكون المراد بقوله : « فقد رآني » أو « فقد رأى الحق » ، أن من رآه على صورته في حياته كانت رؤياه حقاً ، ومن رآه على غير صورته كانت رؤياه تأويل . وتعقبه فقال : هذا ضعيف ، بل الصحيح أنه يراه حقيقة ، سواء كانت على صورته المعروفة أو غيرها . انتهى .

ولم يظهر لى من كلام القاضى ما ينافى ذلك ،
بل ظاهر قوله أنه يراه حقيقة فى الحالين ، لكن فى
الأولى تكون الرويا مما لا يحتاج إلى تعبير ، والثانية
مما يحتاج إلى التعبير .

قال القرطبي :

اختلف فى معنى الحديث ، فقال قوم : هو على
ظاهره ، فمن رآه فى النوم رأى حقيقته ، كمن
رآه فى اليقظة سواء . قال : وهذا قول يدرك فساد
بأوائل العقول ، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على
صورته التى مات عليها ، وأن لا يراه راىان فى آن
واحد فى مكانين ، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره
ويمشى فى الأسواق ، ويخاطب الناس ويخاطبوه .
ويلزم فى ذلك أن يخلو قبره من جسده ، فلا يبق
[من قبره فيه شيء] ، فيزار مجرد القبر ويسلم على
غائب ، لأنه جائز أن يرى فى الليل والنهار مع اتصال
الأوقات على حقيقته فى غير قبره . وهذه جهالات
لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل .

وقالت طائفة :

معناه : أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها . ويلزم منها أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث . ومن المعلوم أنه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا ، من الأحوال اللاتقة به ، وتقع تلك الرويا حقاً ، كما لو روى ملاً داراً بجسمه مثلاً ، فإنه يدل على امتلاء تلك الدار بالخير . ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه ، أو ينسب إليه ، لعارض عموم قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » . فالأولى أن تنزه رؤياه ، وكذا رؤيا شيء منه ، أو مما ينسب إليه عن ذلك ، فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة ، كما عصم من الشيطان في يقظته .

قال : والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده ، أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثاً ، بل هي حق في نفسها . ولو روى على غير صورته ، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان ،

بل هو من قبل الله . وقال : وهذا قول القاضي أبي بكر
ابن الطيب وغيره . ويؤيده قوله : « فقد رأى الحق » :
أى رأى الحق الذى قصد إعلام الرائي به ، فكانت
على ظاهرها ، وإلا سعى فى تأويلها ، ولا يهمل أمرها ،
لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر ؛ إما ليخيف
الرائي ، وإما لينزجر عنه ، وإما لينبه على حكم يقع
له فى دينه أو دنياه .

وقال ابن بطلال :

قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، يريد تصديق
تلك الرويا فى اليقظة وصحتها وخروجها على الحق ،
وليس المراد أنه يراه فى الآخرة ، لأنه سيراه يوم
القيامة فى اليقظة ، فتراه جميع أمته ، من رآه فى
النوم ومن لم يره منهم .

وقال ابن التين :

المراد من آمن به فى حياته ولم يره ، لكونه
حينئذ غائبا عنه ، فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به
ولم يره ، أنه لابد أن يراه فى اليقظة قبل موته ،

قاله القزاز . وقال المازرى : إن كان المحفوظ : « فكأنما رآنى فى اليقظة » فمعناه ظاهر ، وإن كان المحفوظ : « فسيرانى فى اليقظة » احتمال أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه ، فإنه إذا رآه فى المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك فى اليقظة ، وأوحى الله بذلك إليه صلى الله عليه وسلم .

وقال القاضى :

وقيل معناه : سبرى تأويل تلك الرؤيا فى اليقظة وصحتها . وقيل : معنى الرؤيا فى اليقظة أنه سيراه فى الآخرة ، وتعقب بأنه فى الآخرة يراه جميع أمته ، من رآه فى المنام ومن لم يره ، يغنى فلا يبقى لخصوص رؤيته فى المنام مزية . وأجاب القاضى عياض : باحتمال أن تكون رؤياه له فى النوم على الصفة التى عرف بها ووصف عليها ، موجبة لتكرمه فى الآخرة ، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات . قال : ولا يبعد أن

يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة ، بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة .

وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر ، فذكر عن ابن عباس أو غيره ، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فبقي بعد أن استيقظ متفكراً في هذا الحديث ، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ، ولعلها خالته ميمونة ، فأخرجت له المرأة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر فيها ، فرأى صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه . ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين ، فأرشدتهم إلى طريق تفريجها ، فجاء الأمر كذلك .

قلت : وهذا مشكل جداً ، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة . ويعكر عليه أن جمعاً جداً رأوه في المنام ، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، ونخبر الصادق

لا يتخلف . وقد اشتهر إنكار القرطبي على من قال :
من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ، ثم يراها كذلك
في اليقظة ، كما تقدم قريباً .

وقد تفتن ابن أبي جمرة لهذا فأحال بما قال على
كرامات الأولياء ، فإن يكن كذلك تعين العدول عن
العموم في كل راء . ثم ذكر أنه عام في أهل التوفيق ،
وأما غيرهم فعلى الاحتمال ، فإن خرق العادة قد يقع
للزنديق بطريق الإملاء والإغواء ، كما يقع للصديق
بطريق الكرامة والإكرام ، وإنما تحصل التفرقة بينهما
باتباع الكتاب والسنة . انتهى .

والحاصل من الأجوبة ستة :

أحدها : أنه على التشبيه والتمثيل ، ودل عليه
قوله في الرواية الأخرى : « فكأنما رآني في اليقظة »
[- كما وقع عند ابن ماجه من حديث أبي جحيفة ،
وكما وقع عند مسلم أيضاً على الشك -] .

ثانيها : أن معناها : سيري في اليقظة تأويلها ،
بطريق الحقيقة أو التعبير .

ثالثها : أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه .

رابعها : أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك ، وهذا من أبعد المحامل .

خامسها : أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية ، لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام .

سادسها : أنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه ، وفيه ما تقدم من الإشكال .

وقال القرطبي :

قد تقرر أن الذى يرى فى المنام أمثلة للمعانيات لا أنفسها ، غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها . فمن الأول : روياء صلى الله عليه وسلم عائشة ، وفيه : « فإذا هى أنت » . فأخبر أنه رأى فى اليقظة ما رآه فى نومه بعينه . ومن الثانى : رؤيا البقر التى تنحر . والمقصود بالثانى التنبيه على معانى تلك الأمور .

ومن فوائد رؤيته صلى الله عليه وسلم تسكين
شوق الرائي ، لكونه صادقاً في محبته ، ليعمل على
مشاهدته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : « فسيراني في
اليقظة » . أي من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق
إلى مشاهدته ، وصل إلى رؤية محبوبه ، وظفر بكل
مطلوبه .

قال : ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى
صورته ، وهو دينه وشريعته ، فيعبر بحسب ما يراه
الرائي من زيادة ونقصان ، أو إساءة وإحسان . قلت :
وهذا جواب سابع ، والذي قبله لم يظهر لي ، فإن
ظهر فهو ثامن .

[و] قوله : « ولا يتمثل الشيطان بي » . وفي رواية
أنس في الحديث الذي بعده : فإن الشيطان لا يتمثل
بي ، و [- عند البخاري -] في كتاب العلم من
حديث أبي هريرة مثله ، لكن قال : « لا يتمثل في
صورتي » . وفي حديث جابر عند مسلم وابن ماجه :
« إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل بي » . وفي حديث

ابن مسعود عند الترمذى وابن ماجه : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى » . وفى حديث أبى قتادة الذى يليه : « وإن الشيطان لا يترأى » - بالراء - بوزن يتعاطى ، ومعناه : لا يستطيع أن يصير مرئياً بصورتى . وفى رواية غير أبى ذر [- يعنى لصحيح البخارى -] : « يتزايا » بزاي وبعد الألف تحتانية . وفى حديث أبى سعيد فى آخر الباب : « فإن الشيطان لا يتكونى » .

أما قوله : « لا يتمثل بى » فمعناه : لا يتشبه بى . وأما قوله : « فى صورتى » فمعناه : لا يصير كائناً فى مثل صورتى . وأما قوله : « لا يترأى بى » فرجح بعض الشراح رواية الزاى عليها ؛ أى لا يظهر فى زى ، وليست الرواية الأخرى ببعيدة من هذا المعنى .

وأما قوله : « لا يتكونى » : أى لا يتكون كونى ، فحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل ، والمعنى : لا يتكون فى صورتى . فالجميع راجع إلى معنى واحد . وقوله : « لا يستطيع » يشير إلى أن الله تعالى وإن

أمكنه من التصور في أى صورة أراد ، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث :
إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التى كان عليها . ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال :
لا بد أن يراه على صورته التى قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين شعرة .
والصواب التعميم في جميع حالاته ، بشرط أن تكون صورته الحقيقة في وقت ما ، سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره . وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي .

قال المازرى :

اختلف المحققون في تأويل هذا الحديث . فذهب القاضى أبو بكر بن الطيب إلى أن المراد بقوله :
« من رآنى في المنام فقد رآنى » أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثاً ولا من تشبيهات الشيطان . قال :
ويعضده قوله في بعض طرقه : « فقد رأى الحق » .

قال : وفي قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً .

ثم قال المازرى :

وقال آخرون : بل الحديث محمول على ظاهره ، والمراد أن من رآه فقد أدركه ، ولا مانع يمنع من ذلك ، ولا عقل يحيله حتى يحتاج إلى حرف الكلام عن ظاهره . وأما كونه قد يرى على غير صفته ، أو يرى في مكانين مختلفين معاً ، فإن ذلك غلط في صفته وتخيل لها على غير ما هي عليه . وقد يظن بعض الخياليات مرثيات ، لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى في العادة ، فتكون ذاته صلى الله عليه وسلم مرثية ، وصفاته متخيلة غير مرثية . والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئي ظاهراً على الأرض أو مدفوناً ، وإنما يشترط كونه موجوداً ، ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وسلم ، بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل على بقاءه ، وتكون ثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات ، كما قال

بعض علماء التعبير : إن رآه شيخاً فهو عامٌ سلمٌ ،
أو شاباً فهو عام حرب . ويؤخذ من ذلك ما يتعلق
بأقواله ، كما لو رآه أحد يأمره بقتل من لا يحل
قتله ، فإن ذلك يحمل على الصفة المتخيلة لا المرئية .

وقال القاضي عياض :

يحتمل أن يكون معنى الحديث : إذا رآه على
الصفة التي كان عليها في حياته ، لا على صفة مضادة
لحالته ، فإن روى على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا
حقيقة ، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه ومنها
ما يحتاج إلى تأويل .

وقال النووي :

هذا الذي قاله القاضي ضعيف ، بل الصحيحة أنه
يراه حقيقة ، سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها ،
كما ذكره المازري . وهذا الذي رده الشيخ [ورد]
عن محمد بن سيرين إمام المعمرين اعتباره ، والذي
قاله القاضي توسط حسن . ويمكن الجمع بينه وبين

ما قاله المازرى بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة ،
لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره
لا يحتاج إلى تعبير ، وإذا كان على غير صورته كان
النقص من جهة الرائي ، لتخيله الصفة على غير
ما هي عليه ، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى التعبير .
وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا : إذا قال الجاهل :
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يسأل عن
صفته ، فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه ،
وأشاروا إلى ما إذا رآه على هيئة تخالف هيئته مع أن
الصورة كما هي . فقال أبو سعد أحمد بن محمد
ابن نصر : من رأى نبياً على حاله وهيئته ، فذلك
دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاذه ،
ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً ، فذاك دال على
سوء حال الرائي .

ونحا الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إلى ما اختاره
النووى فقال بعد أن حكى الخلاف . ومنهم من
قال : إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً ، فمن

رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي ، وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص . فذاك خلل في الرائي من جهة الدين . قال : وهذا هو الحق ، وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب ، وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه ، حتى يتبين للرائي : هل عنده خلل أو لا ؟ لأنه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرأة الصقيلة ، ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره ، تصور فيها وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين . وكذلك يقال في كلامه صلى الله عليه وسلم في النوم أنه يعرض على سنته ، فما وافقها فهو حق ، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي . فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره . قال : وهذا خير ما سمعته في ذلك .

ثم حكى القاضي عياض عن بعضهم قال :

خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها ، ومنع الشيطان . أن يتصور في صورته ، لئلا يتذرع بالكذب على

لسانه فى النوم . ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم فى اليقظة ، واستحال تصور الشيطان على صورته فى اليقظة ، ولا على صفة مضادة لحاله ، إذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل ، ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة ، حمى الله حماها لذلك من الشيطان وصوره وإلقائه وكيدته . وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبي للنبي ، عن تمثيل بذلك لنصح رؤياه فى الوجهين ويكون طريقاً إلى علم صحيح لا ريب فيه ، ولم يختلف العلماء فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام . . . وساق الكلام على ذلك .

قلت : ويظهر لى فى التوفيق بين جميع ما ذكره ، أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه ولو كانت سائر الصفات مخالفة . وعلى ذلك فتفاوت رؤيا من رآه ، فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذى لا يحتاج إلى تعبير ، وعليها يتنزل قوله : « فقد رأى الحق » . ومهما نقص من صفاته فيدخل

التأويل بحسب ذلك . ويصح إطلاق أن كل من رآه
في أى حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة .

وقال الطيبي :

المعنى : من رآنى فى المنام بأى صفة كانت فليستبشر
ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التى هى من الله وهى
مبشرة ، لا الباطل الذى هو الحلم المنسوب للشيطان ،
فإن الشيطان لا يتمثل بى . وكذا قوله : « فقد رأى
الحق » : أى رؤية الحق لا الباطل . وكذا قوله :
« فقد رآنى » ، فإن الشرط والجزاء إذا اتحدا دلّ على
الغاية فى الكمال ؛ أى فقد رآنى رؤيا ليس بعدها شىء .

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه :

أنه يؤخذ من قوله : « فإن الشيطان لا يتمثل بى »
أن من تمثلت صورته صلى الله عليه وسلم فى خاطره من
أرباب القلوب ، وتصورت له فى عالم سره ، أنه
يكلمه أن ذلك يكون حقاً ، بل ذلك أصدق من رأى
غيرهم ، لما من الله به عليهم من تنوير قلوبهم . انتهى .

وهذا المقام الذى أشار إليه هو الإلهام ، وهو من جملة أصناف الوحي إلى الأنبياء ، ولكن لم أر فى شيء من الأحاديث وصفه بما وصفت به الرؤيا ، أنه جزء من النبوة . وقد قيل فى الفرق بينهما : إن المنام يرجع إلى قواعد مقررة ، وله تأويلات مختلفة ، ويقع لكل أحد ، بخلاف الإلهام ، فإنه لا يقع إلا للخواص ، ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بين لمة الشيطان .

وتعقب : بأن أهل المعرفة بذلك ذكروا أن الخاط الذى يكون من الحق يستقر ولا يضطرب ، والذى يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر . فهذا إن ثبت كان فارقاً واضحاً . ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأحكام الشرعية لا تثبت بذلك .

قال أبو المظفر بن السمعاني فى « القواطع » :

بعد أن حكى عن أبى زيد الدبوسى - من أئمة الحنفية أن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال : والذى عليه الجمهور ، أنه لا يجوز

العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح .
وعن بعض المبتدعة أنه حجة ، واحتج بقوله تعالى :
« فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » (١) ، وبقوله : « وَأَوْحَى
رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ » (٢) : أي ألهمها حتى عرفت مصالحها ،
فيؤخذ منه مثل ذلك للآدى بطريق الأولى . . وذكر فيه
ظواهر أخرى . ومنه الحديث قوله صلى الله عليه وسلم :
« اتقوا فراسة المؤمن » ، وقوله لوابصة : « ما حاك في
صدرك فدعه وإن أفطوك » ، فجعل شهادة قلبه حجة
مقدمة على الفتوى . وقوله : « قد كان في الأمم محدثون »
فثبت بهذا أن الإلهام حق ، وأنه وحي باطن ، وإنما
حُرِّمَ العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه .

قال : وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار
الحجة والحث على التفكير في الآيات والاعتبار والنظر

(١) الشمس : ٨ :

(٢) النحل : ٦٨ .

في الأدلة وضم الأمانى والهواجس والظنون . . . وهي كثيرة مشهورة . وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس ، وكل شيء احتمال أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه حق .

قال : « والجواب عن قوله : « فألهمها فجورها وتقواها » (١) : أن معناه عرّفها طريق العلم ، وهو الحجج . وأما الوحي إلى النحل فنظيره في الآدمي في يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش . وأما الفراسة فنسلمها ، لكن لا تجعل شهادة القلب حجة لأننا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره . انتهى ملخصاً .

قال ابن السمعاني :

وإنكار الإلهام مردود ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به ، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك ، أن كل من استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يردّه فهو مقبول ، وإلا فمردود يقع

من حديث النفس ووسوسة الشيطان . ثم قال : ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه ، يزداد به نظره ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله ، ولا نزع أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة . انتهى . ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء : هل يجب عليه امتثاله ولا بد ؟ أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر ؟
| فالثاني هو المعتمد كما تقدم .

رؤية البارى عز وجل فى المنام

قال الحافظ رحمه الله :

جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقاً . ولم يجروا فيها الخلاف فى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . وأجاب بعضهم عن ذلك بأمر قابل للتأويل فى جميع وجوهها ، فتارة يعبر بالسلطان وتارة بالولد وتارة بالسيد وتارة بالرئيس فى أى فن كان ، فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعاً ، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب ، كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائماً ، بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا روى على صفته المتفق عليها ، وهو لا لا يجوز عليه الكذب ، كانت فى هذه الحالة حقاً محضاً لا يحتاج إلى تعبير .

وقال الغزالي :

ليس معنى قوله . « رآنى » أنه رأى جسمى وبدنى ، وإنما المراد أنه رأى مثلاً صار ذلك المثال آلة يتأدى

بها المعنى الذى فى نفسى إليه ، وكذلك قوله : « فسيرانى فى اليقظة » ، ليس المراد أنه يرى جسمى وبدنى . قال : والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

قال : ومثل ذلك من يرى الله سبحانه وتعالى فى المنام ، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن تنتهى تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ، ويكون ذلك المثال حقاً فى كونه واسطة فى التعريف ، فيقول الرائي : رأيت الله فى المنام ، لا يعنى أنى رأيت ذات الله تعالى ، كما يقول فى حق غيره .

وقال أبو القاسم القشيرى ما حاصله :

إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو ، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه ، وهو

يعتقد أنه منزّه عن ذلك ، لا يقدح في رؤيته ، بل
يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل ، كما قال
الواسطي : من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى
وقار الرائي . . وغير ذلك .

* * *

بيان

هذا الكتاب

مختار من شرح الامام العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني
على صحيح الامام البخارى :

« فتح البارى شرح صحيح البخارى »

وتم مراجعة الأحاديث والآيات وضبط النص

بمعرفة قسم التحقيق والنشر بـ :

مكتبة التراث الإسلامى

١٤ صَفِيَّة زُغَلُول

قصر العيني - المتأونة

« والله يقول الحق ويهتدى إلى صراط مستقيم »

« الناشر »

رقم الايداع ٤٧٤٧ لسنة ١٩٨٥

مطابع سجل العرب